

صيد الحيوانات ذات الفراء في المناطق الشمالية المتجمدة

عندما تم اكتشاف قارة أمريكا الشمالية لأول مرة كانت تكتظ بالحيوانات ذات الفراء لتحميها من برد الشتاء القارس ، وكان الهنود يصطادون هذه الحيوانات ليستخدموا جلودها ، وكان الجلد المفضل لهم هو جلد القندس الذي يتميز بصوفه الجميل .

وكان أول من اكتشف قيمة الفراء من الأوروبيين هم صائدو السمك في خليج بنانت لورانس عندما كانوا يهبطون إلى الشاطئ لتجفيف حصيلة الصيد من أسماك الحوت فيشاهدون الهنود وقد اكتسوا بجلود القندس ، فكانوا يتبادلون معهم تلك الملابس الجلدية مقابل المدى وغيرها من الأدوات التي يجلبها الهنود .

ثم بدأت تجارة الفراء تنتشر في أوروبا في عهد الملك شارل الأول ، حيث ظهرت القبعات المصنوعة من اللباد والمزينة بالفراء بعد أن أدرك صانعو القبعات أن صوف القندس يتميز بوجود بروزات طويلة تمتد بطول الشعيرات مما يجعله يلتصق باللباد في سهولة ، ولذلك بدأت تجارة الفراء تزدهر في كندا بصفة خاصة ، وأقيم مركز تجارى على خليج هدسون ، كما أقيمت مراكز تجارية في كندا الشمالية واستخدمت هذه المراكز المستوطنين الهنود في القيام بعمليات القنص وكان يتم تبادل الفراء بالبضائع ، كما صدرت عملة خاصة تسمى « القندس » كل قطعة منها كانت تساوى قيمة جلد قندس واحد .

وكان معظم القناصة من الهنود أو الأسكيمو من سكان المناطق الشمالية الذين يعتمدون في معيشتهم على القنص بالرغم من المشقة البالغة التي تتسم بها حياة هؤلاء القناصة .

وما أن يعم الجليد في شهر أكتوبر حتى يخرج القناصة في شمال كندا إما فرادى أو أزواجاً يحمل كل منهم حباله الخاصة التي يستخدمها في نصب الفخاخ ،

ولا بد للقناص أن يكون ملماً بالكثير من المعلومات الخاصة بطبيعة الحيوان الذي يسعى لاقتناصه مثل القندس والثعلب والذئب والمنك والدلق ، وكل نوع من هذه الحيوانات له ما يناسبه من الفخاخ ، وعلى القناص أيضاً أن يختار أفضل الأماكن التي ينصب فيها فخاخه ، ويظل القناص في التجول على امتداد خطوط الفخاخ طيلة الفترة من أكتوبر وحتى حلول الربيع ، حيث يفحصون كل فخ على حدة مرة كل أسبوع تقريباً لجمع ما قد يقع من الحيوان ، لأن الجلود تتلف إذا تركت هذه الحيوانات فترة طويلة داخل الفخ .

ويرتدى القناص أحذية خاصة للسير على الجليد ، كما يستخدمون الزحافات التي تجرها الكلاب القوية ، ولكنهم الآن يستخدمون الزحافات الآلية . ويعيش القناص في خيمة ويحمل غذاءه مع ما يمكن أن يحصل عليه من الصيد ، وما أن يحل الربيع حتى يحمل الجلود التي جمعها إلى أحد مراكز التجارة لبيعها له .

ولكن مع استمرار الصيد بدأت أنواع الحيوانات ذات الفراء في التناقص ، بل أن بعض هذه الأنواع قد أختفى تماماً مما أثار قلق الحكومة الكندية فأصدرت عدة تشريعات بغرض المحافظة على هذه الحيوانات من الانقراض ، كما أنشأت مزارع لحيوانات الفراء ، ومن المثير أن الثعالب كانت أولى هذه الحيوانات التي بدأت تربيتها في تلك المزارع إلى جانب حيوانات أخرى مثل المنك والدلق والسنار .



أوائل المستكشفين لبلاد الثلج

بيتيا أقدم المستكشفين لمناطق الشمال :

لم يكن بيتيا تاجراً أو بحاراً ولكنه كان من الدارسين ، لقد قام بحساب خط العرض الذى تقوم عليه مدينته وقدم العديد من الملاحظات حول الشكل الذى يتخذه المد البحرى وتوصل إلى أن المد يتحكم فيه القمر .

وقد عاش هذا المستكشف فى الفترة حوالى عام ٣٢٥ قبل الميلاد واشتهر الجغرافى بيتيا بسبب بعض الرحلات التى قام بها والأعمال الفلكية ، لذا تم اختياره ضمن حملة مهمتها الوصول إلى تلك البلاد البعيدة فى الشمال والتى ترد منها المواد الأولية كالنحاس والقصدير والذهب ، وسافر بيتيا من ماسيليا وهى المدينة التى تعرف الآن باسم مارسيليا ، وكانت مهمته الوصول إلى بريطانيا ، وأن يقرر ما إذا كانت هذه البلاد البعيدة التى يغطيها الضباب جزيرة أم شبه جزيرة ، وأن يحدد المنطقة التى يأتى منها ذهب الشمال .

واجتاز بيتيا بلاد الغال قاطعاً الطريق الذى كان تجار مدينة ماسيليا قد قاموا بتحديدده بعد حصار جبل طارق ، وبعد أن بدأ رحلته اتجه شمالاً مخترباً قناة المانش وسار بحذاء الساحل الغربى لبريطانيا بأكمله .

وكان بيتيا أول بحار من البحر الأبيض المتوسط يتوغل كل هذه المسافة شمالاً ، ثم هبط إلى الجزيرة وتفقد مناجم القصدير فى كورنفيل ، وخلال جولته زار جزر شيتلاند ثم مضى نحو الشمال الشرقى إلى ثيول وهى البلدة الغامضة التى كان الأقدمون يعتبرونها أقصى مناطق العالم الغربى ، واستطاع بيتيا فى جزيرة ثيول أن يتعرف على أن النرويج كانت جزءاً من القارة فى حين أن ثيول كانت تعتبر جزيرة .

ثم سار بيتيا بحذاء الساحل الشرقى لبريطانيا ثم تحول نحو الشرق متجهاً إلى بلاد الغنبر وهى البلاد التى تطل على بحر البلطيق ، وسار فى اتجاه

سواحل أوروبا الشمالية حتى ألبا ، ثم وصل إلى جزيرة فريزون وتمكن في النهاية أن يتبين أن العنبر من أصل نباتي على عكس ما كان يعتقد أهل أوروبا من أنه رغوّة موجات البحر أو أنه العرق الذي يتصبب من الشمس .

وبعد أن عاد بيتيا إلى وطنه وضع كتابا بعنوان (حول المحيط) ولكن هذا الكتاب فقد ، وكل ما يعرف بشأن هذا الجغرافي العظيم يرجع الفضل فيه إلى المؤرخين الرومان والأغريق الذين نقلوا بعض أخباره ، وقد تسبب ضياع هذا الكتاب في تأخير التعرف على الأراضي الشمالية عدة قرون والواقع أن الأنباء القليلة التي تناقلها المؤلفون تتفق وبدقة تدعو للدهشة مع الأوضاع الحقيقية لهذه البلاد ، مما يدعو إلى اعتبار هذا الرجل من كبار الرحالة الرواد في العصر القديم .



المسار الذى سلكه بيتيا في رحلته

اميريجو فيسبوتشى

اشهر كريستوفر كولومبوس بأنه مكتشف الدنيا الجديدة ، ولكن القارة الجديدة لم يطلق عليها اسم كولومبوس ، وإن كانت هناك دولة فى أمريكا الجنوبية اسمها كولومبيا ، أما الرجل الذى تسجل أمريكا شهرته فهو اميريجو فيسبوتشى .

إذ الواقع أن الفضل يرجع إلى فيسبوتش فى اكتشاف جزء كبير جداً من أمريكا ، ولا يعرف على وجه التحديد إلى أى مدى تم هذا لأن المؤرخين قد اختلفوا حول تحديد الأماكن التى ذهب إليها هذا الرجل الشجاع بالضبط كما اختلفوا فى عدد الرحلات التى قام بها إلى الدنيا الجديدة ، وكان يعتقد أنه قام بأربع رحلات إلا أن رحلتين منهم مؤكدتين .

واميريجو فيسبوتشى إيطالى الجنسية ولد فى فلورنسا فى ١٨ مارس ١٤٥٤ وتلقى تعليماً ممتازاً وما أن بلغ الخامسة والعشرين من عمره حتى أوفدته حكومة بلاده فى بعثة دبلوماسية إلى ملك فرنسا فى عام ١٤٧٩ وبعد عودته التحق بالعمل فى المصرف الذى تملكه إحدى الأسر الكبرى فى فلورنسا وتدعى أسرة ميديتشى، ومن الغريب أن النجاح كان حليفه تماماً فى العمل المصرفى حيث أوفد فى عام ١٤٩٢ إلى أسبانيا إذ كان لهذه الأسرة العريقة أعمال فى مدينة إشبيلية ، وكان يدير هذا العمل رجل يدعى جيا نولد. بيراردى وكان اميريجو يعمل معه .

وكان بيراردى فى ذلك الوقت يساهم فى إعداد الترتيبات لقيام كريستوفر كولومبوس برحلته الأولى عبر المحيط الأطلنطى فى عام ١٤٩٢ ومن المؤكد أن اميريجو ساعد بيراردى فى إعداد السفن لرحلتى كولومبوس الثانية والثالثة وقد تهيأ له خلال هذا العمل أن يتعرف على كولومبوس شخصياً ، وعند

وفاة براردى فى عام ١٤٩٦ أصبح فيسبوتشى مديراً للعمل وظل مقيماً فى إشبيلية إلى أن احترف هو أيضاً أعمال الاستكشاف وبدأت الرحلة الأولى لفيسبوتش فى مايو عام ١٤٩٩ حيث أقلع من ميناء فادش بأسبانيا فى أسطول صغير مؤلفاً من أربع سفن تحت قيادة المستكشف الأسبانى الونسودى أوجيدا إلا أن الرجلين اختلفا بشأن طريق الرحلة لذا افترق الرجلان بعد وصولهما إلى ساحل جويانا فى أمريكا الجنوبية حيث أبحر أوجيدا متجهاً إلى الشمال بينما أبحر فيسبوتشى متجهاً إلى الجنوب ، وفى الطريق استكشف فيسبوتشى نهر الأمازون ثم استمر فى الاتجاه جنوباً حتى وصل إلى رأس لاكونسولاسيون جنوب خط الامتواء بست درجات ثم استدار عائداً إلى جزيرة هايتى والتي كانت تسمى سبانيولا فى ذلك الوقت إذ كان قد اتفق مع أوجيدا على اللقاء هناك ليعودا معاً إلى أرض الوطن .

وأثناء رحلة فيسبوتشى مر على جزيرة ترينداد وهى إحدى جزر الهند الغربية وكانت له مغامرة بالغة الإثارة على ظهر هذه الجزيرة ، إذ ما إن هبط على أرض الجزيرة حتى رحب به الأهالى ودعوه فى مودة بالغة إلى زيارة أكواخهم فلبى الدعوة ، وعند زيارة أول كوخ رأى كومة ضخمة من العظام البشرية مكدسة فى أحد أركان هذا الكوخ فارتعدت أوصال فيسبوتشى ولم يكن هناك أى مجال للهرب فتظاهر بعدم المبالاه ونظر متسائلاً نحو الرجل الكهل الوداع الذى يرافقه والذى لم يكن بالطبع يفهم لغة فيسبوتشى ، ولكن الرجل بدأ يفهم الاشارات ويفسر له أن مواطنيه اعتادوا على زيارة الجزر المجاورة لخطف الرجال والنساء ثم أكلهم ، وأضاف الرجل أن مذاق لحمهم ممتاز ، فاقشعر بدن فيسبوتشى وأدار دفعة الحديث بسؤال الرجل عن عمره فأشار الكهل إلى عدد حبات العقد الذى يضعه حول عنقه ، وكان عدد حبات العقد ١٣٠ حبة .

وفى عام ١٥٠٠ وصل فيسبوتشى إلى وطنه بسلام ، ولكنه عقد النية على القيام برحلة جديدة أخرى إلا أنه لم يجد تحمسا من الملك فرديناند والملكة إيزابيلا ، فاضطر إلى الانتظار إلى أن وجد تشجيعاً من ملك البرتغال ، وفى مايو عام ١٥٠١ أبحر فيسبوتشى من ميناء لشبونة عاصمة البرتغال .

وفي هذه الرحلة تقدم جنوباً لأبعد من الرحلة الأولى فوصل إلى ساحل البرازيل عند رأس ساواخو سيشنو واستمر في التقدم جنوباً على امتداد ساحل أمريكا الجنوبية ، فاستكشف نهر بلات ويحتمل أنه توغل إلى ما وراء هذا النهر ، ولم تتوفر التقارير المسجلة حول طريق عودته من رحلته الثانية والمؤكد أنه عاد إلى لشبونة في ٢٢ يوليو عام ١٥٠٢ .

ويعتبر رحلة فيسبوتشى نقطة تحول بالغة الأهمية في تاريخ الاستكشاف ، إذ حتى ذلك الحين كان يعتقد كولومبوس وكل المهتمين بهذا المجال في ذلك الوقت أن الأرض المستكشفة هي أجزاء من آسيا وكان البحث لا يزال جارياً عن طريق بحرى إلى الشرق الأقصى ، ولكن اميريغو اكتشف الحقيقة بالصدفة وعلم أنه ورفاقه كانوا أول من اكتشف قارة جديدة .

وقد عمل فيسبوتشى بعد ذلك في مؤسسة تجارية لجزر الهند الغربية ومنح لقب الملاح الأول ، وكانت مهمته الإشراف على إعداد الرحلات وعمل الخرائط للعالم الجديدة ، وتوفي اميريغو فيسبوتشى عام ١٥١٢ .



الطرق التي سلكها فيسبوتشى

جون وسباستيان كابوت

كان جون كابوت أو جيوفاني كابوتو من مواليد جينوا عام ١٤٥٠ وذهب إلى البندقية وهو بعد في سن مبكرة حيث اشترك في الرحلات التجارية العظيمة التي كانت سبباً في ازدهار البندقية ومن بينها رحلته الشهيرة إلى مكة .

وقد أعجب كابوت الشاب إعجاباً عظيماً بالجزائر والتوابل والأحجار الكريمة التي رآها هناك ، وأخذت تلح عليه فكرة احتمال وجود طريق بحري قصير يصل إلى بلاد الشرق من غرب أوروبا ، وكان كابوت مثل كل عظماء المستكشفين في عصره مقتنعاً بأنه من الممكن العثور على ذلك الطريق من خلال الإبحار غرباً ، لذا توجه جون إلى لندن في حوالى عام ١٤٨٤ ليعرض أفكاره على الإنجليز ، وقد رحب بخطته تجار مدينة بريستول وكانت من أكبر موانئ إنجلترا .

وكانت إنجلترا في ذلك الوقت تنظر بعين الحسد إلى الأمبراطوريات الشاسعة التي كانت أسبانيا والبرتغال تغتنمها من خلال مستكشفيها أمثال كريستوفر كولومبوس الذى قام برحلته على متن سفن أسبانية وأيضاً فرديناند ماجلان الذى مولت الحكومة الأسبانية رحلته .

لذا قررت إنجلترا رعاية جون كابوت ، على أن تتم رحلاته الاستكشافية باسم التاج الإنجليزي .

وظلت الرحلات تتوالى على مدار سنوات عديدة بقيادة كابوت بهدف العثور على جزيرة البرازيل أو جزيرة المدن السبع والتي كان رسامو الخرائط في العصور الوسطى يحددون موقعها إلى الغرب من إيرلندا إلا أن هذا البحث لم يسفر عن شيء .

وفي عام ١٤٩٣ وصلت أنباء تفيد بأن كولومبوس قد نجح في الوصول إلى الهند وفي الحال تقرر إغفال البحث عن جزيرة البرازيل والتوجه رأساً إلى الأراضي الآسيوية ذات الثراء الخيالى .

وفي ٥ مارس عام ١٤٩٦ ، أصدر الملك هنرى السابع أوامر تكليف إلى كل من الحبيب جون كابوت المواطن البندق وإلى كل من لويس وسباستيان وسانتياغو أبناء جون المذكور بمنحهم كامل السلطات وحرية التصرف في القيام بالبحث والكشف والعثور على أى جزر في أقاليم أو مناطق لم تعرف بعد .

وكان نصيب الملك من هذا الاتفاق هو أن تؤول خمس المكاسب الناتجة عن الاستكشاف إلى خزائنه .

وبدأت أولى رحلات كابوت يوم ٢ مايو عام ١٤٩٧ ، وكانت تضم سفينة واحدة تسمى ماثيو وعلى ظهرها ١٨ بحاراً ، وأبحرت السفينة متجهة نحو الشمال بمحاذاة شواطئ أيرلندا ثم انخرقت غرباً ، وفي يوم ٢٤ يونيو وصل كابوت إلى أقصى نقطة في شمال جزيرة كاب بریتون بكندا وهناك رفع العلم الإنجليزي واستولى على الأرض باسم الملك هنرى السابع ، وكانت تلك هى البداية بالنسبة للاستعمار الإنجليزي في أمريكا الشمالية .

غير أن كابوت شأنه شأن كولومبوس من قبل تصور أنه قد عثر على آسيا وغمرته الفرحة الجارفة فعاد أدراجه قاصداً بريستول مارا في طريقه بعدد من الجزر أطلق عليها أسماء إنجليزية .

ووصل إلى بريستول في ٦ أغسطس ، وقد كافأه الملك على استيلائه على قطع من (أرض الخان العظيم) بأن منحه مكافأة مالية قدرها عشرة جنيهات .

ثم وافق الملك هنرى السابع على اقتراح كابوت بأن يقوم برحلة أخرى تسير بمحاذاة الشاطئ في اتجاه الجنوب إلى أن تصل إلى اليابان ، إذ كان يعتقد أنها قريبة من خط الاستواء ، وبذلك يمكن الوصول إلى مركز تجارة التوابل ، ومنح كابوت معاشاً قدره ٢٠ جنيهاً .

وفي ربيع عام ١٤٩٨ أبحر كابوت من بريستول ، ومعه سفينتان يرافقهما عدد من السفن التجارية المملوكة لبعض التجار ، وقرر كابوت أن يبدأ البحث عن أرض تقع في أقصى الشمال كان قد سمع عنها من مستكشف آخر يدعى

لافرادور . وسارت رحلة كابوت شمالاً مدفوعة بتيار الخليج إلى أن وصلت في شهر يونيو إلى جرينلند التي أطلق عليها كابوت اسم أرض لابرادور ثم استأنف السير في اتجاه الشمال وكان البرد قد بدأ يشتد وجبال الثلج الهائلة تظهر لهم من خلال الضباب الكثيف مما جعل تقدم السفن بطيئاً ومخوفاً بالأخطار .

وفي ١١ يونيو أعلن البحارة العصيان ، ووجد كابوت نفسه عاجزاً عن الاستمرار في طريقه نحو الشمال بعد أن فشل في العثور على الممر الشمالي الغربي الذي يصل إلى آسيا عبر جرينلند .

واتجه كابوت بسفنه نحو الغرب حيث وصل إلى جزيرة بافن في أقصى شمال كندا ، والتي اعتقد أيضاً أنها أرض آسيا ، وبناء على ذلك غير اتجاهه نحو الجنوب قاصداً الوصول إلى اليابان ، إلا أنه بدأ يشعر بالقلق وهو في طريقه جنوباً ، إذ لم يجد أثراً لتلك الحضارة الآسيوية الأسطورية وكانت المؤن التي يحملها قد بدأت في التناقص ، لذلك قرر العودة إلى إنجلترا حيث وصلها في خريف عام ١٤٩٨ ، وتوفي في نفس العام .

وكان سباستيان كابوت أكثر تحملاً في تفكيره من أبيه ، وبعد أن عمل فترة في خدمة إنجلترا أبحر خلالها بحثاً عن الممر الشمالي الغربي في عام ١٥٠٩ ، لكنه قرر فجأة أن من الواجب عليه أن يخدم وطنه الأصلي فتتخى عن خدمة الملك هنري ، وفي عام ١٥٢٥ أصبح قائداً لبعثة أسبانية للكشف عن جزر اليابان والصين ، فأبحر سباستيان بثلاث سفن من إشبيلية في شهر أبريل ، وبعد شهرين وصل إلى ساحل البرازيل ومن هناك غير اتجاهه جنوباً نحو مضيق ماجلان ، ولكنه سمع عن الثروات الضخمة الموجودة في منطقة نهر لابلاتا فأقنع رجاله بغض النظر عن عملية البحث عن جزر التوابل ثم وصل بهم إلى لابلاتا في شهر فبراير عام ١٥٢٧ .

وتسببت مخالفة سباستيان لأوامر المسؤولين في إشبيلية في الحكم عليه بالنفي لمدة أربع سنوات في وهدان بشمال أفريقيا ، ثم سمح له بالعودة بعد ثلاث

سنوات . فعاد سياستيان يسعى للعمل في خدمة إنجلترا وقد طلبت أسبانيا من إنجلترا تسليمه لها ولكن إنجلترا رفضت .

ثم لعب سياستيان دوراً هاماً في تأسيس شركة التجار المغامرين المتحدة في عام ١٥٥١ والتي كونتها جماعة من التجار المغامرين في لندن ، وحصلت هذه الشركة على إمتيازات احتكارية خاصة من الملك ، كما لعبت دوراً رئيسياً في تنمية التجارة الإنجليزية ، وقد أصبح سياستيان مديراً لها مدى الحياة .

وفي شهر مايو ١٥٥٣ نظمت هذه الشركة رحلة لمحاولة العثور على الممر الشمالى الغربى الموصل إلى جزر الهند الغربية .

وحدث أن جرفت مياه الشمال المتجمدة سفينتين من سفن البعثة الثلاث وهلك بحارتهما ، إلا أن السفينة الثالثة بقيادة ريتشارد شاتسلور نجحت في الوصول إلى البحر المتوسط ، ومن هناك اتجه قائدها براً إلى موسكو ، وقد ساعد هذا الكشف الجديد على إقامة اتفاقيات تجارية كبرى بين إنجلترا وروسيا ، ويعتبر من أعظم الإنجازات التى حققتها هذه الشركة .

وفي مايو عام ١٥٥٧ ، أوقف صرف معاش سياستيان بإيعاز من ملك أسبانيا فيليب الثانى ، إلا أن الملكة مارى الإنجليزية أعادت صرفه بعد أيام قليلة ، وقد توفى سياستيان فى أواخر عام ١٥٥٧ وبذلك انتهى عصر آل كابوت الرحالة .



العالم الكسندر هامبولت مؤسس علم البحر

يعتبر العالم الكسندر هامبولت أول من أرسى قواعد علم المناخ وعلم المحيطات وقد خلد اسمه بصفته واضع علم البحر بأن أطلق هذا الاسم على أحد تيارات البحر الباردة التي تنتشر بطول سواحل شيلي وبيرو ، كما أطلق اسمه أيضاً على إحدى مناطق الولايات المتحدة بالإضافة إلى منطقة من الركام الجليدى فى المنطقة القطبية الشمالية ، وأيضاً على أحد الجبال فى كاليدونيا الجديدة .

وقد ولد الكسندر فريدريش هانيريش بارون فون هامبولت فى برلين عام ١٧٦٩ من أسرة أرستقراطية ثرية وكان أبوه ضابطاً فى الجيش البروسى ، وقد هيات له ظروفه العائلية مستو رفيع من التعليم والثقافة .

وكانت العلوم الطبيعية والرحلات العلمية تستحوذ على اهتمامه بدرجة كبيرة ، فقام هو وصديق له فى عام ١٧٩٠ برحلة طويلة فى نهر الراين وهولندا وانجلترا وفرنسا ، وعاد من هذه الرحلة وقد ازداد حماساً للعمل فى هذا الاتجاه ودرس التعدين وأصبح مديراً للمناجم وفى عام ١٧٩٥ قادته أبحاثه إلى سويسرا وشمال إيطاليا ثم جاب جبال الألب الشرقية ، ولكن أحلامه امتدت لأبعد من ذلك ، إذ كان يتطلع إلى أرجاء الكرة الأرضية بأكملها وفى عام ١٧٩٨ أسعده التعرف على عالم النبات إيميه بونبلان الذى أصبح رفيقه الدائم فى رحلاته الاستكشافية العديدة التى قطع خلالها مايزيد عن ٦٠ ألف كيلومتر جمع خلالها هو وصديقه الآلاف من العينات النباتية والملاحظات والقياسات العلمية إلى جانب حصيلة هامة من المعلومات الجغرافية والعلمية العديدة ، وقد جمع كل ذلك فى ٣٠ مجلدا بعنوان رحلة إلى المناطق المدارية فى القارة الجديدة وضع

خلالها الأسس لعلمى الجغرافيا الطبيعية والأرصاد الجوية الحديثة إلى جانب توصيف النباتات والبحث فى علم المناخ والمغناطيسية الأرضية وأصبح هامبولت من أشهر رجال العلم فى عصره .

ومن المثير أن نشاط هامبولت لم يتوقف أبداً فعندما بلغ الستين قام برحلة استكشافية فى آسيا الوسطى بتكليف من القيصر نيقولا الأول وصل فيها إلى سيبيريا الجنوبية ، واستغرقت هذه الرحلة حوالى ستة أشهر قطع خلالها مايزيد عن ٤٠٠٠ كيلو متر ، ثم عاد إلى مسقط رأسه برلين ، وهناك استمر هذا العجوز النشط يعمل ، حيث بدأ فى نشر كتابه الشهير (الكون) وهو فى سن السادسة والسبعين ، ويعتبر هذا الكتاب من المؤلفات العلمية البالغة الأهمية فى مجال الجغرافيا الطبيعية وقد توفى الكسندر هامبولت فى برلين فى ٦ مايو عام ١٨٥٩ بعد أن بلغ التسعين من عمره الثمين الذى كرسه لخدمة العلم والعالم .



كريستوفر كولومبوس

عاش الملاح الإيطالي كريستوفر كولومبوس عدة سنوات في ميناء لشبونة عند مصب نهر التاجوس . كانت تسيطر عليه فكرة ملحة وهو يتطلع إلى الأطلنطى الذى يمتد إلى ما وراء الأفق (كيف نصل إلى الشرق عن طريق الغرب) .

وفي ذلك الوقت كان أغلب الأوربيين يعلمون أن الأرض كروية بينما كان بعضهم يرفض تصديق ذلك ، ولم يكن أحد يعلم مدى ضخامة الكرة الأرضية أو ما الذى يمكن أن يحدث إذا أفلح أحد رجال البحر بسفينته تجاه الغرب من أجل أن يصل إلى الشرق ، بل كانوا يتصورون أن السفينة التى تبحر عبر المحيط الأطلنطى الهائج الكثيب ما إن تدرك حدوده الغربية حتى تهوى فى هوة لا قرار لها .

وكانت أوروبا فى ذلك الوقت عامرة بالأقاصيص التى تدور حول الأشباح التى تقطن هناك ، وأن البحار التى تحركها العواصف المتصلة لا بد وأن تحطم أى سفينة تجازف بالتوغل فيها .

ولكن كولومبوس لم يكن مقتنعاً بهذه القصص وإنما كان يعتقد أن وراء الأطلنطى جزر الهند الغربية ، ويمكنه إثبات ذلك لو توافرت له السفن والرجال .

وكان ملك البرتغال جون الثانى مهتماً بهذا المشروع إلا أن اللجنة التى كلفها الملك بالدراسة انتهت إلى أن هذا الإيطالى معتوه .

ولكن كولومبوس لم يستسلم ، وبدأ يبحث عن جهة أخرى تساعدته فأتجه إلى أسبانيا ، وكان من الصعب على أى أجنبى الحصول على الموافقة على دخول البلاط الملكى الأسباني المتزمت ولكن كولومبوس الجسور لم تكن لتقف أمامه هذه العقبة ، فعقد صداقات مع رجال القصر ثم لم يلبث أن تمكن من عرض خطته على الملك فرديناند الأرجوانى والملكة إيزابيلا القشتالية ، ثم سمحت له

الملكة بالمقابلة في ١ مايو عام ١٤٨٦ حيث أخبرته بأنها على استعداد لتكليف بعض علماء جامعة سالامنكا لدراسة خطته .

ومن الغريب أن كولومبوس ظل منتظراً سنوات عديدة قرار هؤلاء العلماء وكان القرار أن الأمر يبدو مستحيلاً لأي إنسان على قدر من التعليم أن يحقق هذه الخطة ، ولكن كولومبوس استجمع شجاعته وكتب إلى الملكة إيزابيلا أنها إذا لم تساعد فسيواجه إلى عاهل آخر لمساعدته وترك البلاط الأسباني وتوجه إلى فرنسا ، ولكن ملك فرنسا كان مهتماً في ذلك الوقت بالفتوحات في إيطاليا .

وكان كولومبوس على وشك النزول إلى الأراضي الفرنسية ، وإذا بمجموعة من الجنود الأسبان تباغته وتقدم له رسالة من الملكة إيزابيلا جاء فيها أنها قررت أن ترفض نصيحة علمائها وتساعد على تنفيذ خطته وشعر كولومبوس أن الأمل الذي ظل السنين الطويلة ينتظر تحقيقه قد أصبح قريباً .

وفي صباح اليوم الثالث من شهر أغسطس عام ١٤٩٢ أفلعت من ميناء بالوس ٣ سفن تحمل أسماء نينا وبتا وسانتا ماريا تحت قيادة كريستوفر كولومبوس وتحت إمرته طاقم يبلغ حوالى مائة شخص لتنفيذ مشروع الهند الغربية .

وكان كولومبوس ملاحاً حذراً ومحنكاً وهادئ الطبع ، وأبحر بالأسطول في بادئ الأمر تجاه جزر الكاناريا ثم اتجه غرباً إلى المجهول ، ومرت الأيام وبدأ الضجر يسرى بين البحارة وبدأ الشك يحيط بهم من أن هذا الإيطالي يقودهم إلى حتفهم وأن عليهم أن يعودوا إلى وطنهم .

ولكن الريح كانت مواتية وتهب باستمرار وبدون عنف .

وذات صباح صرخ أحد البحارة على ظهر السفينة بنتا أن هناك أرضاً على مرمى البصر ، وشاهد الجميع شريطاً قائماً عند الأفق ولكن ما أن اقتربوا منه حتى اختفى وإذا بالرجال يملكهم الرعب وحاول قائدهم الهادئ أن يخفف عنهم موضحاً أن الأمر لا يعدو أن يكون مجموعة من السحب ، ثم مر على

كولومبوس والرجال مايقرب من الشهرين وهم يحبرون فى هذا المحيط اللانهاى حتى أصبح الرجال على شفا التمرد ويصرون على العودة ، فاضطر كولومبوس أن يقطع على نفسه عهداً بأن يعودوا على أعقابهم إذا لم يروا اليابسة خلال ثلاثة أيام ، ويبدو أن كولومبوس لم يقطع على نفسه هذا الوعد من فراغ ولكنه كان قد أبصر غصناً من شجرة عائماً على سطح الماء ، وكان الغصن يحمل زهوراً فتأكد لكولومبوس أن اليابسة لابد وأنها جد قريبة من سفنه .

وفى الساعة الثانية من صباح يوم ٢ أكتوبر ترددت فى جنبات السفينة بتنا صيحات مدوية طال اشتياق كولومبوس لسماعها ، إذ كان الرجال يصيحون « الأرض الأرض » .

واعتقد كولومبوس أنه قد وصل إلى جزر الهند الغربية ، ولكن الحقيقة أن تلك الأرض لم تكن سوى إحدى الجزر الخارجية من مجموعة البهاما .

ثم اكتشف قبل عودته إلى أوروبا عدداً آخر من جزر الهند الغربية وطبقاً لحساباته اتضح له أن الجزر التى شاهدها هى جزء من أرخبيل اليابان ، وكان الهدف من رحلته أن يكتشف اليابان نفسها ، فدار حول الشواطىء الشمالية لكوبا وهسانيولا (هايتى حالياً) وهناك وجد رجاله كميات بسيطة من رواسب الذهب فقاموا بمقايضة الوطنيين على بعض حلهم الذهبية ، ولكن حدث أن تحطمت سفينة القيادة سانتا ماريا عند شواطىء هسانيولا فصمم كولومبوس على العودة إلى الوطن تاركاً عددا صغيراً من رجاله على البحر .

ثم قام كولومبوس بثلاث رحلات أخرى إلى الأراضى الجديدة ولكنه لم يقابل بالترحاب ، وأصدر الحاكم أوامره بعودة كولومبوس فوراً إلى أسبانيا لاعتقاده أنه تسبب فى حدوث قلاقل بين المستوطنين .

وكانت راعيته الملكة الأسبانية قد فارقت الحياة ، ولم يعد اسمه معروفاً فى البلاط الملكى الأسبانى .

ومن المؤسف أن نهاية هذا المستكشف الشجاع كانت مؤسفة إذ لفظ أنفاسه الأخيرة وحيداً فى إحدى الحانات البائسة فى مدينة فالادوليد يوم ٢٠ مايو عام ١٥٠٦ .

جاك كارتيه

يعتبر جاك كارتيه من أوائل مكتشفي كندا ، فقد سبقه الأخوان كابوت اللذان انجرا بطول السواحل الكندية إلى جانب الكثيرين من البحارة من منطقة الباسك والبرتغال الذين زاروا تلك المناطق إلا أنهم لم يستقروا بها ، وكان الملك فرنسوا الأول ملك فرنسا يتطلع إلى غزو الأراضي الجديدة الغنية بالذهب والمعادن ولكنه كان يريد في المقام الأول أن يكتشف في الغرب طريقاً بحرياً يمكن أن يؤدي إلى الشرق الأقصى حيث تجارة التوابل التي يحتكرها العرب تماماً في ذلك الحين .

ولد جاك كارتيه في مدينة سان مالو بفرنسا عام ١٤٩١ واتجه إلى العمل في البحر ، وفي عام ١٥٣٤ أسند إليه الملك مهمة الكشف عن بعض الجزر التي يقال أن بها كميات كبيرة من الذهب .

وأبحر كارتيه يوم ٢٠ أبريل عام ١٥٣٤ حيث وصل إلى خليج سان لوران في يوليو ، وبعد أن تعرف على سواحل لابرادور وأطلق عليها العديد من الأسماء الفرنسية ، تقدم بعد ذلك حتى جزيرة انتيكو ستي وهناك أعتقد أنه وصل إلى مدخل الطريق الذي يتطلع إليه والمؤدي إلى الهند ، ولكن الجو بدأ يهدد بالخطر فاضطر كارتيه إلى العودة إلى فرنسا في أغسطس عام ١٥٣٤ .

ثم كانت رحلة كارتيه الثانية هي أهم رحلاته حيث بدأها في ١٩ مايو عام ١٥٣٥ ومعه ثلاث سفن وبعد رحلة طويلة وشاقة وصل إلى مضيق بيل أيل في ٢٦ يوليو ثم وصل في ١٠ أغسطس إلى خليج أطلق عليه اسم سان لوران ، وفي ١٥ أغسطس مر بإحدى الجزر وأطلق عليها اسم انتيكوستي أي جزيرة الصعود ثم توجه لأعلى نهر هوشلاجا ، وبعد أن تعرف على مصب نهر ساجيني المظلم البارد بدأ في الاتصال بالأهالي الوطنيين الذين رحبوا به كثيراً واستقبله الزعيم دوناكون مرحباً في مدينة ستاداكون والتي أصبحت

كويك فيما بعد ، وقد أظهروا فرحا عظيماً بالمصنوعات الحديدية المزخرفة التي أحضرها معه كارتيه وأخذوا يرقصون ويبدون له مظاهر الحفاوة البالغة .

ولكن كارتيه عزم على التقدم لاكتشاف مملكة أخرى هامة هي مملكة هوشلاجا ، وترك أكبر سفنه جراندهرمين وبتيت هرمين في مدينة ستاداكون ثم أبحر بالسفينة أمريون لمتابعة رحلته الاستكشافية وبعد ثلاثة عشر يوماً قضاها في البحر ووصل إلى هوشلاجا في ٢ أكتوبر وهو إقليم صغير تنتشر فيه بضعة أكواخ عند سفح التل أطلق عليه كارتيه اسم مون رويال (مونتريال) وقد استسلم الأهالي استقبالاً حافلاً إذ بهرتهم هيئة الفرنسيين ذوى الشوارب البنية والذقون ذات اللحى والخوذ فوق الرؤوس والدروع اللامعة ، فالتف حولهم في دائرة وقد كتب كارتيه في مذكراته عن هذا الموقف (كاننا أردنا إن نؤدى بعض الألعاب السحرية) .

وفي ١١ أكتوبر عاد كارتيه إلى رفاقه في ستاداكون ، وكان فصل الشتاء قاسياً إلى جانب تفشي مرض الأسقربوط بينهم ، وما أن حل الربيع حتى بدأ في ٦ مايو العودة بإسطوله إلى فرنسا ، وقد نشرت تفاصيل هذه الرحلة في عام ١٥٤٥ تحت عنوان (رواية مختصرة للرحلة البحرية التي قام بها القبطان جاك كارتيه إلى جزائر كندا) .

وقد أرسى هذا القبطان الجريء حقوق فرنسا في وادي سان لوران الرائع وفي عام ١٥٤١ حيث قامت بعثة ضخمة لاستعمار الأرض الجديدة .

ثم أسندت إلى كارتيه قيادة خمس سفن لحمل السكان الجدد للمستعمرة الأمريكية الجديدة ، ومن المثير أن شخصاً آخر يدعى جان فرانسوا دى لاردك هو الذى نال لقب نائب الملك والمندوب العام في كندا وظل مقيماً في فرنسا بينما خرج كارتيه إلى عرض البحر مرة أخرى في مايو ١٥٤١ ، وعندما وصل إلى ستاداكون أقام مركزاً لقيادته عند مصب نهر كاب روج ووضع أساساً لمدينة شارلز بورج رويال ، ثم عاد إلى فرنسا بعد عام حيث أقام في قرية ليموالا الصغيرة وظل بها إلى أن توفي في سبتمبر عام ١٥٥٧ .

فيتوس بيرينج

كانت فكرة الطواف حول العالم بحراً للوصول إلى أراضي الصين واليابان الأسطورية تمثل الحلم الذى يراود المستكشفين الأوروبيين فى العصور الوسطى ثم تطورت الفكرة فى القرن السادس عشر إلى نظريتي الممر الشمالى الغربى والممر الشمالى الشرقى أو بمعنى آخر الطريقين الممتدين فوق القمة ، إذ يمتد أحدهما شمال سيبيريا ويمتد الثانى فى أقصى شمال كندا ، ولكن الأقطار القطبية الشمالية كانت شديدة البرودة وتحتاجها العواصف والأخطار إلى حد بالغ حتى أنه كانت عمليات الاستكشاف فى تلك الأيام لا تتم إلا بالسفن الشراعية الخشبية ، لذا لم يكن يجرؤ على الارتحال إلى مثل هذه المناطق سوى أشد الرجال بسالة وإقدام وأكثرهم جرأة .

وكان فيتوس بيرينج هو أحد هؤلاء الرجال الواسل .

ولد فيتوس بيرينج فى هورستر فى شرق الدانمرك عام ١٦٨١ ، وانجه إلى البحر وهو لا يزال فتى صغيراً وتلقى مهاراته كملاح فى السفن الدانمركية بيد أنه سعى إلى إيجاد منفذ لطموحاته المثيرة التى تتعدى مجرد الإبحار ضمن الحملات التجارية الدانمركية ، فالتحق فى عام ١٧٠٤ بالبحرية الروسية حيث عرف باسم إيفان أيفانوفيتش ، وكانت هذه الخطوة حاسمة فى حياته إذ أدت إلى ارتباطه بالمشروعات الكبرى التى اضطلع بها بطرس الأكبر لاستكشاف الشواطئ الشمالية الشرقية لقارة آسيا ، ذلك أن روسيا نمت بصورة هائلة بحلول القرن الثامن عشر ، بعد أن كانت فى بداية نشأتها دولة ضعيلة من دول العصور الوسطى المعروفة باسم موسكو القديمة ، وامتدت رقعتها شمالاً وغرباً فى اتجاه بحر البطيق ثم إلى الجنوب فى اتجاه شبه جزيرة القرم كما امتدت حدودها شرقاً عبر سيبيريا فى اتجاه أقاصى حدود القارة الآسيوية وكان الطرف الشمالى الشرقى للدولة الروسية يستأثر بخيال القيصر بطرس حتى شعر أنه قد وجد فى شخص فيتوس بيرينج الرجل الذى سيقوده إلى مجاهل المناطق القطبية الشمالية .

وكان بطرس يتطلع إلى امتلاك تلك المناطق التي لم ترسم بعد على الخرائط ، إلى جانب اكتشاف مدى اتصال قارتي أمريكا وآسيا أو انفصالهما .

ومن العجيب أن القيصر استدعى بيرينج وطلب منه إعداد حملة لاستكشاف السواحل القطبية لآسيا وأمريكا وكان ذلك في عام ١٧٢٤ وقبل عام واحد من وفاته .

وتألفت الحملة من سفينتين فقط و ٢٥ رجلاً حيث تجمع الرجال في أوخوتسك وهي قاعدة على ساحل سيبيريا الشرقى وشرعوا في بناء سفينتهم فورتن وسانت جبريل .

وما أن حل عام ١٧٢٦ حتى أتموا استعدادهم وأبحر بيرينج مع رجاله القلائل في اتجاه سيبيريا الشمالى ، وقد مر بشبه جزيرة كمشاتكا ، ولم يطل به الوقت حتى اقترب من طرف آسيا ، وفيما بين العاشر والخامس عشر من شهر أغسطس ، اجتاز المضيق العظيم الذى يفصل آسيا عن أمريكا ويعرف اليوم باسم مضيق بيرينج .

ولم يلبث بيرينج أن قفل راجعاً على أثر اقتراب الخريف ومعه خطر التجمد ، وقد استقبل بالتهليل في سانت بطرسبرج من قبل القيصرة آنا التى خلفت بطرس الأكبر على عرش روسيا ، وتهياً لفيثوس أم يبلغها أن آسيا وأمريكا هما في الواقع قارتين منفصلتين .

وبدأ بيرينج يستعد للقيام بالرحلة الثانية والتى كانت تفوق الرحلة الأولى ، وشيدت لهذا الغرض سفينتان أكبر من السابقتين ، أطلق عليهما سفن سانت بيتر وسانت باول ، وقد أبحرتا في عام ١٧٤٠ إلى شبه جزيرة كمشاتكا حيث أسس بيرينج بلدة بتروبافلوسك أى بيتروبول تكريماً للسفينتين وفي ٤ يونيو ١٧٤١ استقل البحر في رحلته الأخيرة متجها إلى القفار المتجمدة ، ولم يكد يمضى في البحر أسبوعين حتى هبت عاصفة عاتية فصلت مابين السفينتين ولم يقدر لهما أن تلتقيا بعد ذلك قط .

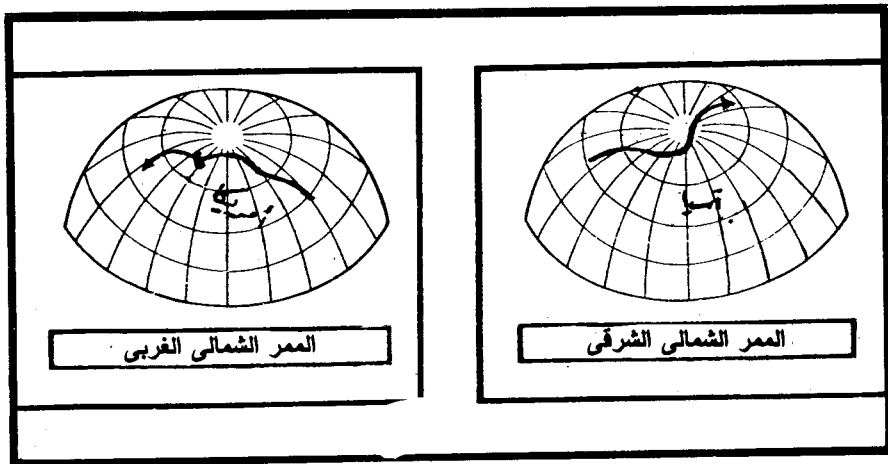
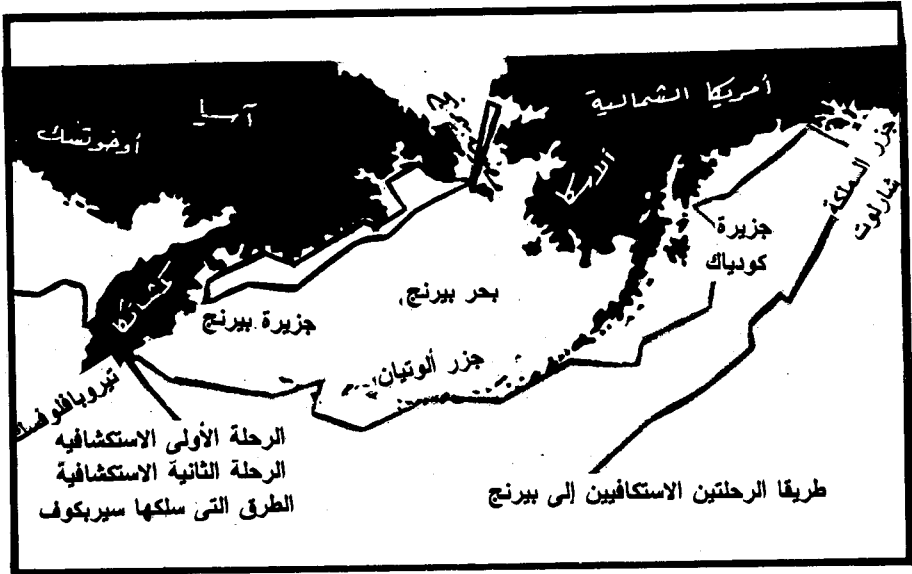
فأما السفينة سانت بول التى كان يقودها الكابتن سيريكوف فقد وصلت

إلى الشاطئ الأمريكى على مقربة من جزر كوين شارلوت ثم عادت أدراجها
في بتروبافلوسك في ٢١ أكتوبر عام ١٧٤١ .

أما بيرينج فكان القدر يجبىء له مصيراً آخر ، إذ وصل هو أيضاً إلى
الشاطئ الأمريكى ولكن عند نقطة أكثر بعداً في اتجاه الشمال ، وكان الشتاء
الرهيب قد بدأ يقترب لذا سار بسفينته في اتجاه الجنوب الغربى قاصداً العودة
إلى موطنه ، وقد عرف أن توقف مرتين والمرجح أنه فعل ذلك للاحتماء من
العواصف ، والأغلب أنها كانت جزيرة كودياك والثانية إحدى جزر اليوشان ،
ولكن الشتاء القطبى الرهيب كان يستجمع قواه ، وبدأت الأمطار الثلجية
العنيفة تنهمر بلا انقطاع وأطبق عليهم غطاء جاثم من الضباب الكثيف النادر
ضائع من المخاطر المروعة التى أهدقت بهم وراحت السفينة تتخبط في طريقها
تحت ظروف جوية مروعة لمدة أربعين يوماً ، واشتدت وطأة البرد على طاقم
السفينة حتى شارفوا على اليأس .

وأخيراً وصل الرجال في يوم ١٦ نوفمبر بعد أن برح بهم الجهد والإعياء
إلى جزيرة نائية تبعد أكثر من ٣٢٠ كم عن نطاق الأمان سباستيان . كمشاتكا ،
وهبط الرجال المكافحون وهم يجرون أجسادهم المنهارة واستعدوا لاحتمال وطأة
الشتاء المروع وقد نفذ منهم الوقود والطعام وقد قدر لعدد قليل منهم النجاة
بما تيسر لهم صيده من حيوان الثعلب وعجل البحر ، واستمروا في الكفاح
من أجل الحياة حتى صيف ١٧٤٢ حيث استطاعت مجموعة منهم أن تبنى
قارباً استقلوه إلى أرض الوطن .

أما بيرينج ذلك المستكشف البطل فقد شعر في أوائل ديسمبر أن النهاية باتت
وشيكة بعد أن تجاوزت قدرته كل حدود التجلد والاحتمال بالرغم من رصيده
البالغ منها ، لهذا رفض الطعام أو البقاء في الكوخ الخشن الذى أقامه له الرجال
وطلب منهم أن ينقلوه إلى العراء وأن يتركوه يتلقى مصيره في ذلك المكان
الموحش القفر ، والذى يعرف الآن باسم جزيرة بيرينج ، حيث لفظ أنفاسه
الأخيرة وهو مولياً وجهه شطر البحر الذى كان دائماً حبه وحياته ومسرح
انتصاراته ، ثم أصبح في النهاية الخاتمة لمأساته .



- polar Regions.
by : Terry jenning.
- Alaska - travel guide.
by : Sunset books.
- The Earth.
by : Arthur beiser.
- Lands and Peoples.
by : grolier incorporated.

- الإنسان وسلالاته — الدكتور يسرى الجوهري .
- جغرافية المحيطات والبحار — الدكتور فيليب رفلر
- سلسلة كل شيء عن — دار المعارف
- سلسلة المعرفة — دار ترادكسيم للنشر
- التيتانيك سفينة الغرائب والعجائب — الدكتور أيمن أبو الروس .